

## نشأة الفكرة العربي المصري وبذور الحضارة

الحاج مُجَدِّ بحار عكاس تنج

Tulisan ini membahas tentang perkembangan pemikiran Arab Mesir dan agamanya. Pada masa jahiliyyah orang Arab adalah masyarakat yang nomaden yang belum mengetahui kemajuan dan perkembangan ilmu pengetahuan secara sempurna. Hal itu disebabkan oleh beberapa faktor antara lain sering berpindah dari suatu tempat ke tempat lain sehingga tidak memungkinkan mereka untuk melakukan kegiatan secara teratur. Meskipun demikian bangsa Arab tetap memiliki pemikiran dan kebudayaan yang merupakan budaya yang telah diturunkan dari nenek moyang mereka. Bangsa Mesir memiliki suatu agama primitive yang merupakan agama yang tertua di dunia. Bangsa Mesir mensucikan Totenism yang menunjukkan kesucian binatang-binatang sebagai aqidah qabilah yang berhubungan dengan binatang-binatang tersebut.

قال صاحب الأندلس " وكان للعرب مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاريها و علم بأنواع الكواكب و أمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية و طول التجربة وداعيهم إلى ذلك من اجل أسباب المعيشة لا على طريق العلم بالحقائق. ورغم هذا الذي كان العرب يتصفون به من الحياة البدوية التي ليس فيها حضارة والمجبية والوحشية التي كانت ساءة بينهم مثل قيام الثورات لأتفه الأسباب وكذا شن الغارات لأي دافع

مع هذا كله هم بشر ولهم فكر وحكم عامة يتواصون بها و لهم أداب عالية يفخرون بعملها والأتصاف بها وغير ذلك من الآداب والسلوك المتعارف عليها عندهم. وقد ورد الكثير من الحكم و الآداب على السنة أدباءهم شعر اوتثرا فمثلا زهير ابن أبي سلمى قال شعرا فيه الكثير من الحكم والمعرفة. أن وجود شعراء و شعرا بهذا الكيفية و هو فغاية القوة و المتانة والرصانة في النظم والتركيب يدل دلالة قاطعة علي مدى ثقافتهم العالية وخاصة هؤلاء الشعراء منهم والأدباء وإليك نماذج من هذه الأشعار التي حفلت بالحكم المتعددة

فمن هذا قول زهير :

ومن يجعل المعروف دون عرضه # يضره ومن لا يتيق الشتم يشتم  
ومن بك ذا فضل فيبخل بفضله # على قومه يشتغن عنه و يذمم  
ومن يوف لا يذمم ومن يهدى قلبه # إلى مطمئن اليد لا يتجمجم  
ومن يجعل المعروف في غير أهله # يكن حمده ذما عليه يندم  
ومهما تكن عند امرئ من خليقة # و إن خالها تحفى على الناس تعلم

وفي مجال الحكم التي يصور عن طريقها حقيقة الإنسان ويميزه عن غيره من الحيوانات بالنطق و التفكير يقول :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده # فلم يبق إلا صورة اللحم والدم  
وقول ذى الأصبع العوداني :

كل أمرئ راجع يوماً لشيئته # وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وقول كثير عزة الشاعر العربي الموهوب الذي تحدث في شعره عن الحب وغيره يقول :

ومن يتدع ما ليس من سوس نفسه # بدعه ويغلبه على النفس ضيمها

وقول طرفة بن العبد في الخير والشر الذي عرفه العرب قوله :

و الأشم داء ليس يرجى برؤه # و البر براء ليس فيه معطب

والصدق يألفه الكريم المرتجى # والكذب بألفه الدائي الاخب

هذا ما كان من شأن الشعر في الحكم عند العربي من خصال و صفات إنسانية متعددة 0 دلت في الأصل على الفكر

العظيم و القديم عندهم ولولم يكن لدى هؤلاء فكر ما عرفوا حقيقة الحياة ولا عاشوها0

ومن نثروا أكثم بن وصفي. الصدق منجاة , و الكذب مهواة , و الشر لجاجة , والحزم مركب صعب , والعجز مركب وطئ أفه

لأري الهوى0 وحسن الظن ورطة سوء الظن عصمة0 وأيضاً قول عامر بن الظرب العدواني0

إن الحق و الباطل لا يجتمعان أو أن الحق ما زال ينفر من الباطل0 والباطل ما زال ينفر من الحق 000 الحق وكذا قوله

إن مع السفاهة الندامة0 مما يدل على أن العرب فكروا أو كانت لهم ثقافة عامة وخاصة منذ أقدم العصور0 أنه ورد عنهم ما يفيد أنهم

تكلموا في موضوعات هي من صميم الفلسفة الإلهية والطبيعية و الإنسانية0 فلقد بحثوا في الله وتكلموا عنه كما بحثوا في البعث وكذا

الحياة الآخرة فمنهم من أنكر وجود الله تعال كما أنكر البعث و النشور0 ولم يؤمن بهما و هؤلاء لم يروا سبباً لهذا الوجود, " إلا لطبع

الحي والدهر المميت, و هؤلاء نحن نعرف أن القرآن أخبر عنهم حيث ذكر قولهم عندما قالوا: " وقالوا ما نحى إلا حياتنا الدنيا نموت و

نحى وما يهلكنا إلا الدهر"

ومن هؤلاء العرب من آمن بالله وخلق السموات و الأرض ولكنه كفر بالبعث و أتكر هؤلاء هم أغلب العرب ولذلك نص

القرآن عليهم ورد على رأيهم , وأثبت عقيدة البعث في كثير من آياته, وهذا الفريق يشير إليه القرآن الكريم0 حيث يقول :

المولى جل وعلى " وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهى رميم , قل يحييها الذى أنشأ أول مرة وهو بكل

خلق العظيم " وفي قوله : " فقال الكافرون هذا شئ عجب , أنذا متنا وكنا تراباً ذلك رجوع بعيد "

و يروى في هذا الشأن قول بعض شعرائهم , وهو شداد بن الأسودين عبد شمس حيث يقول في شأن رشاد الكفار

الذين قتلوا يوم بدر وقول بخيرنا الرسول بأن سنحيا : وكيف حياة أصداء وهام وهو في هذا القول يريد أن يقول : تستطيع تصديق ما

تقوله مُجَّد صلى الله عليه و سلم من أننا سنحيا حياة أخرى بعد أن يكون قد نال منا العدم فلم يبقى منا شئ , وكيف يحيى الإنسان

بعد أن صار جسداً هامداً لا حياة فيه ولا روح0

والمدقق في أخبار العرب و المطلع على التاريخ الصحيح يرى أنه كان بين العرب بجانب هؤلاء وأولئك نفر قليل كانوا

يؤمنون بالله الخالق , وباليوم الآخر إيماناً فيه كثيراً0 من الغموض , الذى يحتاج إلى دليل لكى يزيل هذا الغموض و يبدد الظلام0

و أشهر هؤلاء الموحدين زين بن أمر بن نفيل , و أمية بن أبى الصلت و قس بن ساعدة الأيادى , و ورقة بن نوفل عبد

العزى , الذى أدرك زمن البعث المحمدية و هؤلاء هم " الخنفاء " أن هذا أمثاله يدل على أنه كان للغرب قبل ظهور الإسلام شئ

من النظر العقلي وهذا حقيقته لا شك فيها لأن كثيرا من النواحي العقلية التي تدعوا إلى الفلسفة كان العرب لهم فيها باع طويل و خاصة الفترة التاريخية التي أخذ العرب يجهدون عقولهم نحو تفكير في الخالق عز و جل و فيما يتصل بالألوهية والعالم والبعث و الحياة الأخرى و لذا نجد الجدل عند العرب كثر في هذه و خاصة فالمسائل التي ذكرناها O و مما يدل على أن العرب كان لهم فكر و فلسفة ودود ما يدل على هذين من أنهم كانوا يبحثون في النفس الإنسانية و يرون أن معرفتها من أدق المعارف وأفضلها على الإطلاق ولذا نجد قس بن سعادة : عندما سئل عن أفضل المعرفة ؟ قال معرفة المرء بنفسه O

و قول قس هذا وحده دليل على أن الموحدين من العرب كان لهم تفكير و فلسفة في بعض النواحي و إن قال البعض من الباحثين في المعرفة و الفكر الإنسانية أن الحكم و أمثالها لا يمكن أن تسمى علما أو فلسفة لأنها أمور وردت على لسانهم بالطبع أولسبب معين كالتوصية بالثخلق بالأخلاق الحميدة ولإبتعاد عن الأخلاق السيئة O أو الدعوة إلى السهامة والكرامة من أجل الدفاع عن أهل لأقارب O أو عن العرض والمال جبلت عليها طبيعتهم واحتجت إليها حياتهم , الإجتماعية , وبيئتهم العرقية و أنا أقول عكس ذلك تماما بسبب أن ما ورد عن العرب من حكم لا يمكن أن تكون السليقة وحدها أوجدت هذه الحكم و ممن نعلم أن أقوى أسلوب شعري عربى عرفته الإنسانية منذ القدم هو الشعر العربي O وأهم أصحاب أمثال O و عند الإمام السابقة و المجاورة للعرب كان فكرهم مقصور على أشياء O أما نظرية أو حسية , كما سنرى عند بيان الفكرى الهندى والمصرى واليونانى القديم فإننا نجد أن كل أمة من هذه الأمم كان لها ضرب من المعرفة الفكرية يخدم هدف و غرض معين O

وهذه مما يؤيد وجود فكر قوى ومعرفة فعلية عند العرب O أما معرفة العربى بالنفس الإنسانية ودعوتهم إلى معرفتها فكانت معرفة سطحية ليس فيها تعمق فكرى ولا بحث عقلى فيما هي النفس وما حقيقتها الخير والشر ؟ وهكذا أما آراء العرب في إله و البعث والمعاد لم تكن قائمة على أساس فلسفى و واضح ولا أساس منهج أوضح محدد المعالم و له مقدمات وحدود ثابتة O و من هنا قال القائل بأن العرب لم يكن لهم, إنتشرت بعد ولم لهم تفكير فلسفى منظم و دقيق وهذا صحيح عند العرب و عند غير العرب لأن العلوم و المعارف لم تكن , إنتشرت بعد ولم تكن الإتصال الإنسان عن قرب في الأزمنة السابقة ولذا كان الحكماء قلة و أرباب العلوم على ندوة إلا أن الرحلات المتعددة بين البلدان جعلت العلوم تتقارب والمعارف و تتلاقى لدى كافة المجتمعات الإنسانية

و يكفى عند العرب رحلتنا الشتاء و الصيف و نزول الأديان في جزيرة العرب منذ خلافة الإنسان على الأرض ألا يكفى هذا في قيام الدليل على أن للعرب ثقافة ي حضارة قديمة

#### ثقافة المصريين وفلسفتهم

من المسلم به أن الديانة المصرية هي أقدم الديانات الشعرية ظهورا على وجه الأرض بدون استثناء على الإطلاق وأمدتهم بالمعارف ودعتهم إلى التأمل والتفكير بل فوق ذلك يؤكد كثير من الباحثين تأكيداً قاطعاً أنه لم تظهر ديانة في الدنيا إلا ولها عند المصرين تأثير فيهم بل كونت من وادى النيل عنصراً ثقافياً وخط فكري ومن حديث القرآن الذى عرفنا منه قصة خلق السموات والكون كله إنسانه وحيوانه.

ومن قائل أن جميع الديانات الإنسانية ليست إلا فئاتا بالنسبة لبلاد الفراعنة الذين سبقوا جميع سكان الكرة الأرضية إلى حمل لواء المعرفة البشرية وفتح كثير من مغلقات العلم وكذا حل الغاز الكون .  
ومن أشهر المقدرين لهذه الفكرة العالمان "بوى" و"البوت" الانجليزيان, ولكن الأستاذ "ينيس" فيؤمن بالفكرة الأولى, وهى الديانة المصرية سابقة على كل الديانات الإنسانية, وهو لا يستبعد أن تكون جميع التطورات الدينية قد وجدت في مصر من الوثنية المحضة إلى الروحية المغالبة في التجردية, بل يذهب إلى أبعد من هذا فيقول إن المغالاة وصلت إلى "اللا أدوية" المطلقة.  
ولكن الذى يعارض فيه أن بقية الشعوب القديمة قد تفذت من سوا قط فئات المائدة المصرية كما يقول بعض العلماء, وبراهينه في هذه العارضة هى:

أولا : أنه لم يثبت عن المصريين أنهم بعثوا بعثات إلى البلاد الأجنبية للتبشير بدعوتهم حتى انتشرت بين ربوع تلك الأمم .

ثانيا : إن الآثار المصرية التى يعتمد عليها العلماء فى حكمهم هذا يرون أنها كافية لنشر الدين المصرى لانوار يدهم فى دعواتهم إذا تأملوا فى الأمر تأملا دقيقا لأنها ليست إلا رموزا وطلاسم قصد بها كتابتها غايات دينية خالصة لا تسجيل حقائق علمية ولا إذا عت أسرار الدين وإيادته تطوراته المختلفة .

وبناء على ذلك فهذه الآثار المهمة لا نستطيع أن تقدم إلى أحد معلومات مفيدة عن الديانة المصرية, ولا ريب أن هذا الفموض يجعلها فى هذه الناحية شبيهة بالعدم وهو يقرر أن أسرار العقيدة المصرية لم تدع بين أفراد الشعب المصرى إلا فى عصور التدهور ويقصد القرن السادس قبل المسيح .  
وعلى ذلك فقد ظل العامة, وهم الذين يحتكون بالأجانب فالمعاملات جاهلين بحقيقة هذه الديانة حتى القرن السادس بعد ظهور كثير من الديانات الشريفة .

وإذا كان هؤلاء قد جهلوا تلك الديانة, فلا يعقل أن ينقلوها إلى غيرهم لأن فاقد النشئ لا يعطيه كما يقولون وبهذا ينتفى تأثير الديانة المصرية فى تلك الديانات, ولا ريب أن البرهان الذى إستدل به صاحب هذا الطعن برهان فى الواقع ضعيف جدا والآتى :

أولا : الثقافة تنشر بواسطة البعثات وكذلك بواسطة الإحتكاكات التجارية و الدين كذلك فى إنتشاره سواء إنتشر عن الطريق الأول و عن طريق الثانى أو عن طريق النواحي الإجتماعية فى المجتمعات, وهذا الأمر كان موجودا و متوفرا و ثابتا الثبات كله  
ثانيا : أدعاء أصحاب هذا الرأى من جهل الشعب بالعقائد المصرية حتى القرن السادس فالواقع يكذبه , و الدليل عليه أن الأدب المصرى و هو المرأة الصافية لحياة الإجتماعية بما يحتويه من دين و أخلاق و مثل عليا

و قد أخيرنا فى مواضع تجل عن الوصف و الحصر بكثير من أثار العقيدة و يضاف إلى هذا أن الرسوم و النقوش المعابد التى تكتظ بها المعابد المصرية القديمة و هى فنفس الوقت تدع أكثر هذه الأسرار الدينية , و ليس هذا سرا ما يعلمه رجال الدين من

الكهنة و الامراء و ايضا رجال البلاط و كيار الرسامين و العلماء و أصحاب الوظائف في الأمة المصرية القديمة على أنه إذ جازسرية ما لدى هؤلاء الأدباء , جميعا و هى بعيدة نقول فلا تجوز سرية ما لدى الادياء و الكتاب الذين أقموا أسفارهم المتعددة بوصف هذه المعلومات بأسلوب رقيق جذاب مسهب و عليه نقرر أن جمع الأمة القديمة من غير إشتشاء هى تلميذات مصرية في الدين و ايضا في علم الأدب و الفن و عجز الإنسانية إلى يومنا هذا عن الوصول إلى المادة التى عرفها أهل مصر قديما لحفد الأجسام و الأشياء و بقاءهم مدة طويلة من السنين لخير دليل على مدى معرفة المصريين بالعلوم و المعارف و أن الأمم الشرقية أحدثت دياناتها عن المصريين كما قلنا إلا أن هذا الأمر يحتاج إلى كثير من عمليات الاثبات و إلى خطوات حذرة مثبصرة لتضمن الطريق أمانا و حقائق لصحة نسبة هذه الأقوال على قدم الثقافة المصرية و أخذ الإمم في شرق البلاد و غربها عن هؤلاء بعض العلوم و المعارف في العصور القديمة و الدارس لكثير من العلوم و المعارف و الإعتقادات عن المصريين ف العصور المختلفة يرى العجب العجاب من سعة الفكرى المصرى و أن الذين يتهمون المصريين بعدم وجود فلسفة و تقليدهم للغير

و نحن نرى من الواجب و الأمانة العلمية أن تدرس شيئا من عصور التاريخ المصرى في إجاز لنقف على الحقيقة من نفى للإتهام و إثبات جداره الأمة المصرية و سبقها في ميدان العلوم و المعارف في العصر المصرى الأول

عندما رأى في العصر الحديث علماء أوروبا با الآثار المصرية القديمة : و شاهدوا الحيوانات المقدسة التى تموج بمهاذ الآثار , و رأوا كذلك بعض الشعوب البربرية المتوحشة في جنوب أفريقيا و في أطراف أمريكا كل هذه الجماعة تقدر الحيوانات في هذا العصر الذى نعيش فيه تقديس المصريين قديما لهذه الحيوانات : تراهم قد إندعوا بمهاذ المشاهدة السطحية و قاسوا الغائب على المشاهد قالوا إن المصريين عندما عبدوا الحيوانات كان هذا نوعا من تقديس المعاصرين المتوحشين لها

و على هذا قالوا بأن تقديس المصريين قديما هو " توتيميسم " و هذه الكلمة وضعت للدلالة على قداسة الحيوانات الناسفة عن إعتقاد القبيلة في قربتها أو صلتها الوثيقة بمهاذالحيوانات نعم هذا " التوتيميسم " لا يزال موجودا عند امتموحشين في أطراف أمريكا

تلك نسبة و إعتقاد غيرهم صحيح لدى هؤلاء العلماء يدلل سؤا لهم للذين يقدرسون هذه : فاجاب بعضهم عن السبب لهذا التقديس فقالوا بأنها إجدادهم الأولون وهم عندما يفعلون ذلك إنما يجلون و يحترمون عنتصرهم الأول و يقولون أن دماء أسلافهم تجرى في عروق هذه الحيوانات و يجب عليهم إحترامها و تقديسها

و قد سفل البعض عن سبب تقديس الحيوان فأجاب بأنها أقارب أجدادهم و أكد البعض الآخر أنها من خلفاء أولئك الأجداد — بينما أعلن صنف آخر و قال أن الحيوان المقدس عندهم إنما هو إله قبيلته وهكذا و أيضا شاهد علماء أوروبا المعاصرين : انقسام الجهات المتوحشة إلى أربعة بطون الأول منها يقدر الكلب , و هو جده الأعلى و الثانى يقدر الخنزير و هو عنصرا الأول و الثالث يقدر الوزع , و هو مبدؤه الأساسى و الرابع يقدر التمساح و هو رأس الأسرة الأولى من هذه البطن

عندما رأى العلماء هذه التقديس عند الشعوب المتوحشة و قارنوا بينه و بين تقديس المصريين الذين سبقوا في قرون غابرة و جرموا بالتشابه في العقيدة و يقولون هذه عقيدة المصريين و هذه معرفتهم و على رأس هؤلاء الذين رموا الأمة المصرية و ثقافتها و معرفتها التى هى أساس الثقافات الأولى هما العالمان " فكتورلوربه " و " الكسند رمورية "

و قد أفاض بعض العلماء في الموازنة بين تقديس المصريين و الشعوب الأخرى قديما قياسا على الحديث عند هذه الشعوب و الناظر في هذه الموازنة يرى أن آراء هؤلاء نزلت منزلة الخيال الذى يصنعه الشعراء و من أبرز هؤلاء العالم الأستاذ فرايزر الإنجليزي الأصل صاحب كتاب الغصن الذهبي و لكن هل هذه الآراء و التى سبقت هل سلمت لهم الواقع أنها عورضت من كثير من

- العلماء الأدباء الذين فندوا هذه الآراء و صرحوا بما تنقصها الأسانيد العلمية و الأدلة التي يعتد بها عن منشأ تقديس الحيوانات و من ناحية اخرى أنها غير متناسعة الجزئيات<sup>0</sup> و نحن نسوق لك بضا من أدلة المعارضة
1. إن المصريين القدماء كانوا يبيحون زواج الأخ من أخته مع أن جميع قبائل " النوتيميسم " تعد هذا العمل من أكبر الجرائم التي تستوجب السخط والغضب و العقاب و فوق هذا أنها مجمعة على أن زواج الرجل بإمرأة من البطن الذى هو منه محرم<sup>0</sup> و هذا أمر من شأنه أن يجعل المشابحة بعيدة كل البعد<sup>0</sup>
  2. وقد وجد كثيرا من القبائل المتوحشة تجهل تماما " النوم تيميسم " ولا تنظر إلى الحيوان الذى يقدر إلا النظر العادى و اغضاء والأهمال و حسب منفعة فيه و الإحتياج إليه الآن فى أرقى المتمدنين العصريين<sup>0</sup>
  3. من العلوم أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن عنصرهم الأول هو السماء فلا يمكن ان ينتسبوا إلى الإنسان العادى فضلا عن الحيوان المسخر لهم<sup>0</sup>
  4. إن المصريين صرحوا قديما فى عدة مواضع من آثارهم للأسباب التي جعلتهم يقدسون بعض الحيوانات ولا يمكن أن يمت أى واحد من ذه الأسباب بصله إلى تسلسلهم من الحيوان<sup>0</sup>
- و عليه فلا يمكن أن نسمى تقديس المصريين لبعض الحيوانات " توتيميسم " اللهم إذا تعدينا هذا التقديس المصريين و أخرجنا الكلمة عن معناها الأصيلى و جعلت مرادفة للتقديس فحسب بدل مرادفتها للتقديس الناشئ عن البنية او القراعن التي جعلت العلماء يقررون المشابحة : و الآخرون يعارضون هذه المشابحة<sup>0</sup>
- على أن الذين يوفقون على تسمية تقديس المصريين للحيوانات " توتيميسم " يجمعون علمان التشمية مقصورة على عصور ما قبل التاريخ كما يجمعون على وجوب فصل عقاعد تلك الأصور<sup>0</sup> عن العصور التاريخية الراقية<sup>0</sup>

#### بدور الحضارة

أن عقلية العرب التي صفت صفاء سمائهم, و تألقت تألق نجومهم فى سمائها الصافية<sup>0</sup> إن هذه العقلية الثاقبة المنقبة المتغلعة إلى الأغوار, المتسرية إلى الأطراف و الحواشى, هى التي طبعت ذهن علماء الغرب , قبيل عهد إحياء العلوم , بطابعها الغد , و هى التي علمتهم كيف يدرسون العضلات , و يحققون الشبهات , و يحللون المشكلات , و يقبون عن الأسباب الرئيسية للأمر , و يستنبطون النتائج المترتبة عليها إن هذه الميزة الذهنية . . . . ميزة الدقة العلمية التي إكتسبها علماء أوروبا من العرب- كما قلنا سابقا- هى التي مكنتهم من تحقيق كشوفها العلمية . . . . غير أنهم لم ينجحوا فى ذلك إلا فى ظل حرية الفكر التي استاقوا عبرها العيف من الجزيرة العربية أيضا , فهاموا بما هياما , واستيسلوا فى النضال لا نتزاعها من أيدي رجال الكنيسة المتعصبين المستبدين , وما فازوا بها حتى تحية التوبة الصالحة لغرس بدور حضارتهم<sup>0</sup>

بيد أن مهمة العرب فى المعاونة على بناء حضارة الغربية لم تقف عند هذا الحد , فهم لم يغرسوا فى نفوس علماء الغرب حب حرية الفكر وتقديسها ولم يلقنوهم دقة البحث فحسب ولكنهم أمد وهم يعلم هو أساس الجانب المادى من الحضارة العربية بحق . . . . أمدوهم يعلم الرياضة , أو بنظريات استحدثوها فى علم الرياضة , ففتح ذلك لأوروبا طريق التقدم العلمى فسيحا ممتداً إلى غيرحد.

لا يكاد يجادل أحد في أن الجانب المادى من الحضارة الحديثة يقوم أساسا على الرياضيات , فهى , إي الرياضيات كانت ولا تزال المفتاح الرئيسى حتى المعاليق العلوم الطبيعة و الجغرافية و الهندسية و غيرها<sup>0</sup> بل لقد أخذت ديكارت ستعين بها لوضع فلسفة يفسر بها الوجود , ثم اعتمد عليها برترند راسل أخيرا لحل معضلات الفلسفة<sup>0</sup> وسبك معادلاته المنطقية . . . . . فىلأى أى مدى أفاد العلماء الغرب من المبتدعات العرب الرياضية حتى استطاعوا بالدأب على الدرس و العمل المجهد إلى اطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية ؟ . . . . .

لقد ابتدع جابر بن حيان علم الجبر الذى سمي بإسمه وابتدع الخوارزمى و هو عربى الثقافة و العقلية رغم أصله الفارسى ابتدع اللغويات الذى سمي كذلك بإسمه , إذا كان الأوربيون يعرفون اللغاتم بأسم " الجورتمى " أى الخوارزمى<sup>0</sup> ولن تشطى الحماسة إذا جاريت من يزعمون أن العرب هم الذين ابتدعوا الحساب , و حزمت بأهم هم أول من كتبوا الأرقام السهلة الحديثة , و أدلل على ذلك بأن الكتابة فى أوربا كالكتابة الاغريقية تتجه من الشمال إلى اليمين , و كان الطبعى أن تتجه كتابة الأرقام المركبة هناك هذ الإتجاه أيضا ولكنها على العكس , تتجه من اليمين إلى الشمال ككتابة الأرقام العربية سواء بسواء . . . . . ان التريخ لم يذكرنا قوما تبجحوا فى علم الحساب قبل قدماء المصريين الذين لم يتبدعوا قواعده و حسب , ولكنهم طبقوها أروع تطبيق , وقد تلقى الأغرقي هذ العلم عن أساتذتهم المصريين سواء عن طريق العرب أو الفينيقيين , و تبجح فيه فيثاغورس و تلاميذه , اضافوا إليه من القواعد الجديدة مازاده قيمة و فاعلية , ثم تلقفه العرب ثافية فحولوه إلى قوة دينا ميكية فعالة فى تطوير العلوم بعد أن ابتنوا الجبر و للوغارتم . . . . .

مجمع مؤرخوا الفلسفة العربية على أن مؤلفات ديكارت هى التى حولت الفكر الأوروبى إلى الأتجاه الحديثة<sup>0</sup> ولسنا فى معرض تفضيل العناصر الجديدة الثورية التى اشتملت عليها أعمال هذا الفيلسوف , ولكننا سنشير إلى حجر الزاوية فى التحول الفلسفى الديكارتمى . . . . . لقد تبجح هذ الفيلسوف فى العلوم الرياضية , واهتمدى إلى فكرة بسيطة كانت لها أخطر النتائج , لقد خطرله أن يطبق قواعد الجبرعلى علم الهندسة – لاسيما فرعية النظرى و الميكانيكى – وعلى مستعصيات علم الحساب , وقد وصل بذلك إلى كشف المغاليق تلك العلوم و تفسير أسرارها , بل يستطيع أن يفلسفها ثم يفسر الوجود " فلسفيا " على ضوءها . . . . . ومن ثم أقام صرح فلسفته التى تفسر الوجود تفسيرا ميكانيكيا. <sup>0</sup> وهكذا نرى أن الفلسفة الغربية مدنية بتطورها الحديث للعرب<sup>0</sup> يؤكد مؤرخوا الغرب أن فلسفة ديكارت كانت نقطة انتقال الفكر الورابى من عهد محاكاة الأغرقي إلى عهد الإصالة و الإنطلاق , ولكن أحدا من أولئك المؤرخين لم يذكر لنا فضل العرب على ديكارت , أو مدى افدته من علومهم التى نقرر نحن هنا أنها هى التى فنقت ذهنة مكنته من إقامة صرح فلسفته<sup>0</sup>

بيد أن أثر الفكر العربى ظهر فى أوربا حتى قبل ديكارت الذى عكس هذا الأثر بجلاء فى فلسفته ولسنا نشك أن كوبرنيكسون وجليليو قد أفاد من بحوث العرب فى علم الفلق الذى تلقياه أيضا من المصريين عن طريق الأغرقي<sup>0</sup> و إذا كابر فى ذلك فى مكابر فإنه لا يستطيع أن ينكر أن هذين العالمين الذين غير معتقدات العالم عن الكون قد استعاننا بالجبرعلى حل ما اعترض دراستهما من تعقيدات رياضية . . . . . كذلك توصل " نيوتن " به و باللوغارتم إلى كشف القوانين الطبيعة التى لا نظن قارنا يجهد ما كان لها من قيمة فى تطوير العلوم الرياضية و الطبيعية<sup>0</sup>

ومن اثر النيايح الباهرالتى اسفرت عنها تلك الكشوف العلمية المعتمدة على الرياضية , أن آمن الأوربيون بالعلم , ثم آمنوا بالعقل البشرى الذى ابتدع العلم , واستطاع به أن يطور الحياة بنفسه , بدل الإطكال على الطبيعة فى تطويرها , و أن يقضى على خرافة القدرة , و يمكن الناس من الثقة الكاملة بأنهم , تلك الثقة التى ما كان للحضارة الراهنة أن تتوفر إلا بتوفرها و هذا ما حمل

الفيلسوف الألماني "كانت" على القول بأن الرياضة هي العلم اليقيني الوحيد , أما باقى العلوم فتفكر فيها العقول , و تختلف في تقدير نتائجها.

و يستطيع المرء أن يستخلص مما تقدم أن فضل العرب على الأوربيين لم يقتصر على امدادهم 0 بمفاتيح علومه الحديثة فحسب , ولكن تعدى ذلك إلى تنقية عقولهم من رواسب المعتقدات الخرافية القديمة , و حملهم على الإيمان بالعلم , و الإيمان بقدرتهم على التحكم في مصائرهم 0

ومن أهم ما حفز التقدم الأوربي إلى الإمام , كشف القارة الأمريكية . . . ثم كشف رأس الرجاء الصالح والوصول عن طريقه إلى جزر الهند الشرقية 0 عن هذه الكشوف لم تمد أوروبا بأسباب الازدهار المادى فحسب , ذلك الا زدهار رفع مستو معيشتها , و هياؤها أنسب الظروف للتقدم الفكرى و الأخلاقى و الفنى , و لكنها أشعلت الخيال , و زادت من الثقة بالنفس , و الإيمان بالعلم . . . وهل ينكر أحد أنها لم تكن لتتاح لولا "البوصلة" و هى غخترع عربى , و لولا أصول علم الملاحة التى تعلمها الأوربيون من العرب , و لولا الملاحون العرب الذين أرشدوا "فاسكودى جاما" إلى الطريق البحر الموصل إلى جزر الهند الشرقية , بعد أن كان قد توفت حائرا في رأس الرجاء الصالح لا يعرف في أى اتجاه يسير؟ . . . وهل من قبيل المصادفات أن يكون "خرستوف كولومتر" أصلا من أسبانيا , "وفاسكوديجاما" من ال-زيرة أندلسية؟ و أن يزدهر الملاحة في العالم 0

ولا يخال أحد أن أقصد مما تقدم أن أنكر مساهمة الأوربيين و إقامة صرح الحضارة الراهنة أو أن أزعج أن هذا الصرح لم يكن ليتاح له أن يقام لو لا العرب , بل لم يكن ليتاح إطلاق الأقمار الصناعية لولا جابر بن حيان و الخوارزمى . . . لا , ليس هذا هو قصدى . . . فلو أن العرب لم يحققوا ما حققوه لما عجز غيرهم عن تحقيقه على مر الحقب 0 ولكنى أقصد أن أقرر حقيقة ينكرها الغرب اليوم . . . أقصد أن انوه بالقسط الذى ساهم به العرب في إقامة أساس الحضارة الراهنة . . . إن العقل البشرى قمين أن يتدع علمى الجبر و اللوغارتم في أى زمان تتوفر فيه الظروف المعينة على ابتدائها . . . ولولم يهتدى إليهما العالمان العربيان لايهدى إليهما غيرهما 0 وكل ما لهدين العالمين من فضل هو سبق غيرهما إلى كشف ما كشفاه . . . أما فضل الذين استخلصوا النتائج الكبرى من كشفالعرب العلمية , فمن الشطط أن ينكرمنكر 0

و أقصد كذلك من هذا التنويه بفضل العرب أن أراد لشعوب الشرق- دون زهو و غدود ثقتهم - ثقتهم بأفهمهم , و أن أحفرهم للعود من جديدة إلى المساهمة في بناء الحضارة العالمية بعزم وكفاءة جديرين بالسلف 0 وأن أظهرللرجل الأبيض المستعمرالذى يريد أن يحتكر فضل تشييد الحضارة الحديثة أن أسلافه تلقوا أهم اصول العلم و التهذيب الراهنين من الأقباط الذين يحتقرهم اليوم 0 إن الدعوة التى لعبه العرب في تاريخ الحضارة هوأنهم وضعوا أوروبا التى كانت تعيث على فتات علوم الاغريق . . . في اول طريق الققدم الحضارة الحديث , وزودوها بأدوات النجاح في الوصول على الغايات الحضارية . . . أما هي فكان لها فضل التوفيق في تحقيق تلك الغايات 0

إذا وجد بعض المتشعنين للفكر الأوربي شبهة التعسب فيما قلت , فما رأيهم في علماء أوربيين ذهبوا في الأشادة بفضل العرب على الحضارة على أبعد مما ذهبت إليه إذ لم يكتفوا بذكرالدور الخطير الذى لعبه العرب في إقامة الصرح الحضارى , ولكنهم قطعوا بأن هذا الصرح لم يكن لقيام لولا مساهمة العرب في تشييده - ومن امثلة ذلك ما قرره العديب المؤرخ الفرنسى "روبر بريف" في كتابه "الشعراء التروبادور" صفحة 20 : "كان الأوربا في لبقرن الحادى عشر , و القرن الثانى عشر , نتيجة إلى العرب باحثة عما استجد عندهم من صنعات و علوم . . . ومن فنون خاصة بالملاحة كانت السبب في تطورها و تبدل حالها كانت أوربا تتجج إليهم منقبة عن كشوفهم في علوم الرياضة و الفلق و الطب و الكيمياء - بل كانت تبحث عندهم آثار "أرسطو" و ابن سينا , و ابن رشد . وكان



علماءها من أمثال " دنياى مورى " وميشيل سكوتوس " و " دى حرمون " و " دوريلاك " و " بمولول " يلتمسون عند العرب حصاد عالم جديد من الفكر العلم ووجد " ريجو مونتانوس " عندهم المعارف التي مكنت " حزناملاح " و فاسكودجام " و " خرستوف كولومبس " من ارتياد المحيطات , والوصول إلى إطف العلم وعثر " أديلها رديوبات " فى قرطبة على النسخة الوحيدة فى العالم من محطوط " أوسليد " الذي ظل يلقن للطلبة فى مدارس أوروبا حتى أم 1533 وطاف كل من " أفلاطون لوبزون " و " فيروناتشى " فى أرجاء أسبانية ليتزودا من علوم الرياضة لاسيما الجبر والتقويم اللغارتم بل إن الكنيسة نفسها التجأت إلى العرب لتجد عندهم مايعينها على إقامة صرح الفكر المدرسى . . . وبحث كل من " البيراكبر " و " توماس ألبن " عى فلسفة العقيدة الكاتوليكية نفسها فى بلتسية , وعند الفرائى . . . وفى الوقت أنشد الشعراء التبرادود شعرهم عتبه أسبانيا العربية صرح " روجر بيكون " فى أوكسوفر بأن وجود الفكر الأوربى , والعلم الأوربى , كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية0

لقد دعيت أوروبا فجأة إلى الحياة بعد ان ظلت غارقة فى ظلمات الجهل طوال حمسة قرون , وهى مدينة بكل مقوما تما إلى العالم الإسلامى . . . "

و تملك هذاالكتاب الضيق بتعصب قومه حصاح قائللا فى نفس السفحة من الكتاب عينه : " الا يجد ربنا أن نقون أكثر وعيا واستنارة فنتخذوا موقنا جديدا من العرب غير موفقنا الذى دفعنا إليه الأفكار التى ظل الأكاديميون يرددونها وقتنا طويلا وهى ليست فى الواقع إلا وليدة التباشات قديمة , و أرهاق تاريخية أغمض أصحابها أعينهم عن الإسلام , رافضين أن يقفوا على حقيقة علومه ومعارفه , مستنكفين أن يعترفوا بفضلها على المسيحية التناحذت الصبغة البربرية فى أوروبا و جاء فى كتاب " تاريخ المسلمين فى أسبانيا " للمرخ دوزى (ص 31 من المجلد الثالث ) " لم يكن امرء أسبانيا , قبل استعادة بلادهم من العرب , اقل همجية ووحشية من سادة البرانس المسيحين . . . بل لم يكونوا يعرفون الكتابة والقراءة , أو التعامل بالنقد0 وكان من يريد منهم أن يجمع بعض الأرقام أو يطرحها , أو ان يقيس حدود أرضه من الأراضى . . . لا يجد بدأ من الإستعانة بعربى كى يحقق له ذلك "0

وهكذا كان حال سراة القوم فى أسبانيا قبل إتصالحهم بالعرب ومن المعلوم أن هؤلاء الأسباب كانوا أقل حشونة ووحشية من إمراء شمال أوروبا , وسراة قومها0 ولم تتغير هؤلاء وهؤلاء غلا بعد زحف الحضارة العربية إلى بلادهم و نحن لن نواصل الإستشهاد بأضوال الغربيين على صحة هذا القول , ولكننا سندع الوقائع تتحدث عن نفسها فى الوصول التالية من هذاالكتاب0

#### صفة العرب الحاضرة

لا ينفرد المتعصبون من مؤرخى الغرب بقولم إن الحضارة الاغريقية0 فحسب , و إن فجر عهد أحياء العلوم بزغ على أثر نشر التراث الاغريقى العلمى والعدبى فى إرجاء دول الغرب . . . نعم , ال ينفرد أولئك المتعصبون بترويج هذه هذه الأكدوية , ولكن بعض كتابنا نحن العرب ينافسهم فى ترويجها بغير وعى , وغير معرفة , ويدونها حتى فى كتب المدارس دون أن يشير بكلمة إلى فضل العرب , و فضل قدماء وفضل قدماءالمصريين على الحضارة الأوربية الحديثة بيد أننا نكرر القول : بان الغرب لم يتخذ الثقافة العروبية احتذاء , ولم يبين حضارته عليها وحدها دون أن يضيف إليها جديدا , ولم يقصر فى تطويرها والوصول بها إلى المستوالساحق الذى بلغته , ولكن الذى لايجوز أن نغفل عنه , ولا تعوزون إقامة الأدلة على صحته , هو أن الحضارة الغرب لم تستمد عناصر وجودها وازدهارها من حضارة الاغريق فحسب , ولكن من حضارة العرب أيضا وكانت هذه الحضارة الأخيرة هى التى دفعتهما للدفعة القوية إلى الإمام وهى التى حررت الإمام الغربية من رواسب الوثنية الاغريقية , وأبدلت بمعتقدات العصر القديم ومثله وأفكاره وتقاليد بمعتقدات وأفكارا و مثالا وتقاليد جديدة أمدت دوحه الحضارة الغربية بأهم أسباب ايناها واثارها , وفتحت لها طريقا جديدا للتقدم , وأوصلتها بذلك إلى نقطة الإنطلاق إلى الأفاق الجديدة0

و باستثناء من أشرنا إليهم فيما سبق من علماء الغرب الشرقاء الذين يضطلعون اليوم في أمانة وإخلاص بالتنقيب هما كان للعرب من تأثير في تطور الحضارة الغربية , فإننا نجد زملاء لهم يطرقون نفس الموضوع ولكن كراهيتهم للعرب تحملهم على القول : بأن هؤلاء على الحضارات الغربية ينحصر في المحافظة على بعض تراث الاغريق الفكر , ونقله إلى أوروبا . . . بيد أن واحدا من أولئك المفكرين توسط الطريق , وهو المؤرخ الإنجليزي " تويني " , و قرر أن الدور الذى لعبه العرب في هذه العدد كان إيجابيا لا سلبيا فهم لم ينقلوا الفكر الاغريقى إلى أوروبا دون أن يمسه , ولكنهم شرحوه شرحا جلاغوا مضه , وعلقوا عليه تعليقا أقال عترته , و أكمل نواحي النقص و التقصير فيه 0

ولكن الذين أغفله توهمي وغيره من زملائه المؤمنين بتفرد الرجل الأبيض الغربى , هو أن فضل العرب على ذلك الرجل المطفطرس لا يقتصر على نقل التراث الإغريقي إلى أوروبا مشروحا أو غير مشروح , ولكن يتعدى ذلك على الجوهر الذى أقره المنضقون من الغربيين , وهو أن أوروبا مدينة بمضارها للعرب . . . والفيصل بين الحق والباطل في هذا الموضوع هو مناقشته واقعا 0 فمثل هذه المناقشته هى الكفيلة باحقاق الحق و أزحاق الباطل . . .

إن أهم يلفت نظربالباحث في تاريخ أوروبا خلال العصرالوصيط هو عجز المسيحية عن تحرير الفكر الأوربي من ريقة الفكر الاغريقى فو بحر الشطر الأكبر من ذلك الاصر . . . فبرغم اعتناق الأرييين للمسيحية , و إيمانهم بمثلها الفكرية و الأخلاقية , فقد ظلت الفلسفة الأغرريقية مسيطرة على اتجاهاتهم الفكرية , و احتفظت باستقلالها عن دينهم . . . ألم يكن رجالا الكنيسة يستعينون حينذاك بأفلاطونو أرسطونى تفسير أمورالدنيا , و يضعون فلسفتها , كما يضعون معتقدات الدين المسيحي , فوق كم مناقسة ؟ , إن هذه الخطة لم تعجز المسيحية عن أداء رسالتها فحسب , لكنها سخرتها في طمس الفكر الأوروي الناشئ , أو تغطيل تطوره 0 لقد عطل رجال الدين متكة التفكير عند الأوربيين , و كبلوا عقولهم بالنسوس الفلسفية و عقاعد الدين , و جظروا عليهم البحث عن اى حل لأية المشكلة إلا من بين تنايا تلك النصوص والمعتقدات 0 وقد فطر القس الفيلوسف سانت أوجستان (( 353-430 م )) إلى عمق التناقض القائم بين المسيحية و الفلسفة الأفلاطون , فبدلا من أن يناقس هذا التناقض , و ينقب عن الحقيقة , جنح إلى المهادنة , وحاول أن يعاجل ذلك التناقض في كتابه " مدينة الله " بالتوفيق بين تلك المذاهب المتناقضة . . . لقد حاول في ذلك الكتاب , و في كتاب آخر له دعاه " الاعترفات " أن يوفق بين الأفلاطونية والأفيدق الأفلاطونية و الأقيدة المسيحية . . . وكذلك بين العقل والإيمان 0

ولكن شأن العرب في هذا كان غيرشأن الأرييين و فقد درس مفكروهم — كما قلنا — فلسفة أفلاطون و أرسطو وغيرهما من فلاسفة الأغرريق , و امتحنوا المشكلات العقلية التى أثاروها , والأسئلة الحائرة التى طرحوها دون أن يوفقوا إلى إجابة عليها يثفى الغليل , ثم نظروا إلى دينهم , غى إلى الدين الإسلامى , و امتحنوا موقفه من تلك المشكلات , و نظرتة إليها , وسيلته إلى حلها , ورحونا قشون ذلك كله مناقشة جرئية حرة تعرضت في بعض الأحيان النوضوعات دقيقة كان طرقها محطورا . . . فق تسألوا مثلا عن أزلية الصفات ألاهية و الأزليو القرآن , و حرية ادارة الإنسان وما يترتب على التسليم بهذه الحرية من تناقض مع بعض الأصول الدينية . . . ولن إطيل في هذا 0 إنما يكفى أ , أقر هنا أن العرب هم أول من ناقشوا المسائل الدينية مناقشة حرة , وقد عرفت بحوثهم في هذا الشأن باسم " علم الكلام " و عرف أئمة هذاالعلم باسم " المتكلمين " وما انتقلت مؤلفات أفلاطون و أرسطو منأيد العربى إلى الأرييين مشفوعة بتعلقات " المتكلمين " حتى أحدثت تلك التعليقات أثرها في أقول المفكرى أروبا الذين كانوا قد أخذوا ويفيقون من سباتهم و يضيقون بالأغلال التى كيد بها رجال الدين فكرهم . . . ولم يلبثوا ان تشجعوا , وراحوا يحدون حدو " المتكلمين " في مناقشة مسائل الدين , و تديج المصنفات في ذلك . . .

وقد سأل سائل: وما أثر ذلك في نشأة الحضارة الغربية وازدهارها؟ . . . ليست عصور الظلام إلا العصور التي قفرض فيها معتقدات معينة على الفكر، و تحظر عليه مناقشتها، فالفكر في هذه الحالة يتعطل ثم يأسن ويتعفن أما أهم ما يميز عصور الازدهار فهو حرة الفكر . . . حرية مناقشة جميع المشكلات التي تمه الأنسان و تشغل باله، فمن احتكاك المناقشة الحرة ينبثق النور الذي يجلو الحقائق، أو يدعلو جانبا منها . . . أو تيحذ الفكر، على أقل تقدير، ونميه و بذلك تتحرك عجلة التطور الحضارة ثم تسرع في خطاها0

و بانشار مصنفات " المتكلمين " في غرب أوروبا اشتعلت شرارة الثورة الفكرية على رجال الدين استبدوا بالفكر الأوربي، وشلوا حركته ردا من الزمن0 وقد استفحلت تلك الثورة، و حطمت معازل الإستغلال الفكر، وما زالت تواصل انتصارها حتى استطاعت ان تحقق مبدأ فصل العلم عن الدين: هذا المبدأ الذي مكن العلم الأوربي من تبوء المكانة التي وصل إليها اليوم، ومن المساهمة بأبوى نصيب في بناء الحضارة الراهنة . . . و مما مكن علماء الغرب و حكماءه و أدباءه من الإرتفاع بالعلوم والبحوث الفكرية و الادبية إلى المستوى الحضارة الذي وصلت إليه، ما تميزت به مؤلفاتهم من تدقيق في التحقيق العلم، ومن تطور التحليل إلى الأغوار و لأطراف0 وكل من يطلع على تحقيقات المتكلمين العرب الفلسفية، وعلى بحوث العرب العلمية تجد فيها المصدر الذي مبعث منه تلك الدقة الأروبية العلمية التي لم تظهر إلا بعد انتقال المؤلفات العربية إلى أوروبا . . . و إذا جادل المجادلون في هذا — فما قولهم في التاريخ العرب؟ . . . كان مؤرخو الاغريق يدونون في مؤلفاتهم كل ما يصل إلى آذانهم من حكايات وروايات دون أن يستوفوا من صحة مصادرها ولكن مؤرخ العربي جاءوا بعد ذلك فتحروا الدقة العلمية في تحقيق الوقائع التاريخية التي ينتحونها، واستخلاص صحيحها من زائفها، فعلموا مؤرخي أوروبا الذين كانوا متأثرين بمؤرخي، و كيف يكون البحث في سبيل استخلاصه . . . و إذا كان بعض النقاد يأخذ على الأدب العربي قصور في تحليل الحوالم الشرعية، و الشكالات الأدبية، و في التغلغ على تفسيلاهما فمرجع ذلك على فهم العرب الخاطي للبلاغة، إذا ظنوا أنها لا تتحقق إلا بالإيجاز، أو بتطبيق قاعدة " ماقل ودل " بيد أن ادب الغرب لم يتأثر بمهاذه القاعدة فاستطاع أن يفيد من إفاضة العرب في بحثهم الفكرية . . .

يتضح مما قدمناه بإيجاز أن العرب تمزوا بصفات صبغت مؤلفاتهم العلمية والأدبية بصبغتها، و سمت بها إلى مستوى سابقاتها، بل نقلتها إلى عتبات مرحلة جديدة مهدت لبزوغ الحضارة الأوربية0 لقد شقت هذه المؤلفات طريق البحث العلمي الحر الذي كان له الفضل الكبير في قيادة أوروبا إلى آفاق حضارتها الحديثة . . . هذه الصفات هي التحرر من الخرافات و الأرهام0 والنظر إلى الأمور نظرة واقعية، ومحاولة فهمها على حقيقتها بتمحيصها وتقليبها على كافة وجوهها، والبحث عن مصادرها0 ومن أهم تلك الصفات النزعة على الحرية، والمجاهرة بالحق دون خوف أو تهميب، و عذع الصفات هي التي تلقنها علماء الغرب وأدباؤه عن العرب، و تأثروا بها فاطرحوا خرافاتهم القديمة، و اتعوا في تأليفهم العلمي ما اتبعه العرب من استقراء و استدلال واستنباط . . . وفي تأليفهم الأدبي من وصف صادق للواقع، و تنقيب عن دفاثنه، وتحليل دقيق لنقائضه0

وبرغم أن العرب في الجاهلية، و في مطلع الإسلام، كانوا لا يزالون يعيشون في ظل النظام القبلي، فقد تحلوا حينذاك بصفات مدنية لم يتحل ممثلها أقوام تحطوا المرحلة القبيلة . . . كانوا يتحلون بالنحوة والدمائه و اللطف ورقة الحاشية و الإيثار و المروءة و النجدة والعفوا عند المقدرة، إلى آخر تلك الصفات التي يحاول الرجل المتحضر اليوم أن يتصف بها، و بحسب أنها ثمر الحضارة الأوربية الحديثة، و آية من آياتها0

ومن صفات العرب القدي أيضا عشق الجمال المرأة، و في غير من ظواهر الحياة، بل تقديس الجمال وتنزيهه، وقد ترب على ذلك أن أعز العربي المرأة و كرمها و أعلى قدرها فممكنها من أن تشعر بكرامتها، و تستمتع بحريتها و تعترف من الثقافة لتوداد

قدرا , وتلعب دورها الحاسم في بناء صرح الحضارة و لعشق الجمال هذا فضل أكبر في تخلص العربي من فظاظة الهمجية , و لوثة الجاهلية , و في حفزه إلى إنتاج الآيات الجمالية في أدبه , و فيما يحيط به من مظاهر المدينة الإمران<sup>0</sup> ولا يتسع المجال في هذه الكتيب للإشتتة بالنصوص على صحة ما ذكرنا . . . ومن يود التحقق بنفسه من تلك الصحة عليه أن يقرأ شعر العرب و أنباءهم و حكايتهم و قصصهم . . .

وقد نقلنا في آخر الفصل السابق وصف دوزى لهمجية أمراء أسبانيا والبرانس قبل إتصالهم بالعرب . . . ونحن نتم الآن قول دوزى في هذه الصدد " نفس المرجع " لم يكد أمرا أسبانيا يسترجعون بلادهم من العرب حتى أحاطوا أنفسهم بكل مظاهر الإبهة والفخامة العربية , وأصبح بلاط قشطالة مجتمعاً للشعراء كسوق عكاظ " . . .

هذه هي الصفات التي سمعت بالعرب , قبل غيرهم , و نقلتهم من المرحلة شبه الهمجية , أو المرحلة غير المهذبة , إلى مرحلة التهذيب الحضارى " وسنقتفل في فصل تال يبحث العوامل التي غرست في العرب تلك الصفات قبل غيرهم من الأمم<sup>0</sup>